# تكملة:

## (١٤) باب من الشرك أن يستغيث بغير اللّه أو يدعو غيره

نحن نَشرُف بحمد الله بأن نَشرحَ كتاب التوحيد لأننا نتكلّم في أعظم حقٍّ عُرف وهو حقُّ ربِّنا – سبحانه و تعالى – و في أعظم فرضٍ وُصِف وهو توحيد الله – سبحانه و تعالى– و في الأمر الذي قضى النبي ﷺ حياته يدعو إليه و يُقَرِّرُه إلى أن مات ﷺ ، و في الأمر الذي أجمعت عليه الأنبياء ، و في الأمر الذي لن تتَّحِدَ الأُمة إلاَّ عليه، فلن تتّحِدَ الأمة إلاَّ على التوحيد، فما لم تجتمِع على التوحيد ستبقى الأُمة متفرِّقة بقلوبِها لأنَّ عقيدة الإنسان تُؤثِّرُ في قلبه تُؤثِّر في حُبِّه تؤثِّر في ولائه تُؤثِّر في اجتماعه مع الناس، فما لم يجتمع النَّاس ما لم تجتمِع الأمة على عقيدة التوحيد فإنّها لن تجتمع الإجتماع الشرعي و الإجتماع النافِع لها أبدا ، ها نحن نرى الأمة اليوم تتفرَّق حتى في عقيدتِها في ربِّها، نجد أنَّ ممّن ينتسبون إلى الإسلام من يعتقِدون أنَّ الأقطاب الأربعة يتصرَّفون في الكون و أنَّ القُطب و الوَلِي قد يرزُق و قد يخلق و العياذُ بالله **فهو شِرك حتى في توحيد الربوبية** الذي لم يَقَع من المشركين الأوائل ، و نرى ممّن ينتسبون إلى الإسلام اليوم من يزعُمون أنَّ القطب يعلمُ الغيب و أنّه ينظر في اللَّوح المحفوظ و يزعمون أنَّه لا يجوز لنا أن نُخاطِب ربَّنا و لكن نخاطِبُ الأقطاب و ندعوهم و نسألهم **شِركٌ في توحيد الألوهية و شرك في توحيد**

**الربوبية**، و نرى أنَّ هناك من المسلمين من يُنازِعون في أسماء الله و صفاتِه و كلُّ هذا –أيُّها الإخوة– فرَّق الأمة و مزَّق الأمة، ولن تجتمِع الأمة مادام أنَّ هذا الداء ضارِب في قلوب من ينتسِبون إلى الإسلام فالواجِب علينا أن ندْعُوَ أمَّتنا بالرِّفق و الحكمة و البيان و الدليل البيِّن إلى توحيد الله سبحانه و تعالى و أن نصبِر على ما نلقاه في هذا الطريق و أن نجتهِدَ في ذلك إجتهاد،

نشرُف بهذا الدرس –أيُّها الأحبة– أشرُفُ به شارحًا و تَشرُفُون به مستمعين بارك الله فيكم، فهذا من أعظم ما يُتقرَّبُ به إلى ربِّنا –سبحانه و تعالى– وكنّا قد وصلنا إلى ما قرّره الشيخ في **باب من الشِّرك أن يستغيث بغير الله أو يدْعُوَ غيرَهُ** ،

وقد قدَّمنا ما يتعلّق بالإستغاثة و أنّها تنقسم في حكمها إلى ثلاثة أقسام:

**– القسم الأول:**

**هي إستغاثة توحيد و عبادة**، يُحبُّها الله و يرضى عمن يفعَلُها و يُعطي المستغيث مقصودَهُ إن شاء –سبحانه و تعالى – أو يجعل الله له خيرًا ممّا أرَاد، **و هي الإستغاثة بالله –سبحانه و تعالى –**.

○ **القسم الثاني:**

**إستغاثة مباحة**، و هي الإستغاثة بالمخلوق القادِر فيما يقدِر عليه و قلنا إنّه يشترط في القادر أن يكون حيًّا حاضِرًا فلا يُستغاث بميِّت أبدًا و لا يستغاث بالغائب،

- و المقصود بالحاضِر –يا إخوة– من كان حاضِرًا عندك ببدنِه، أو كنت تستطيع أن تتواصل معه و يستطيع أن يُغيثكَ، كأن تتصل مثلاً بالإسعاف

ليغيث المريض أو تتّصل بالشرطة لتُغيثك من اللِّص أو تنادي و أنت في البيت إذا جاءك اللُّصوص أغيثوني أغيثوني ليسمعَك جيرانُك و يُغيثوك فإنَّ هذا إستغاثة بالحاضِر.

- أمّا الغائب فهو الذي غابَ عنك و لا تتصل به و لا يستطيع أن يُغيثَك.

- **القسم الثالث:**

**فهي الإستغاثة الشِّركية** ، وهي الإستغاثة بغير الله –عزّوجل– فيما تظهر حقيقة الدُعاء، وهي الإستغاثة بالميِّت و الإستغاثة بالغائب و الإستغاثة بالحيِّ فيما لا يقدِر عليه المخلوق عادةً، فإنَّ هذه إستغاثة شركية كما تقدَّم معنا ،

إذًا تقدّم معنا –يا إخوة– أن ذكرنا الإستعاذة، و ذكرنا الإستغاثة، و هناك لفظٌ ثالث يُشبهُها و هو الإستعانة ،

**و الإستعانة:** طلب العون، و العوْنُ هو المساعدة و معنى ذلك أنَّ إذا أردت الخير تطلب العون و المساعدة عليه فالإستعانة طلبُ العون الخيرِ من خيري الدُنيا و الآخرة، فهذه الإستعانة.

**و حُكمها:** كحُكم الإستغاثة ، و الفرق بين الإستعاذة و الإستغاثة و الإستعانة :

- **أنَّ الإستعاذة:** طلب الحماية من الشَرِّ، فهي تكونُ قبل وقوع الشرّ، تطلب أن يحمِيَكَ الله من الشرِّ و تستعيذ بالله من الفتن، يعني تطلُب من الله أن يحمِيَك من شرّ الفتن قبل أن يقَعَ الشر ،

- **و أمَّا الإستغاثة:** فهي طلب تفريج الشِّدة و تفريج الكُربَة، فهي تكون عند وقوع الشرِّ، أو عند قُربِه كأنّه واقِع فتستغيث لِتنجُوَ من هذه الشِّدة ، يعني مثلاً لو كنت في الطائرة و حصل خلَلٌ في الطائرة فهذه شِّدة و هذا شرٌ وقَع و تستغيث بالله فأنت تطلب النجاة من هذه الكُربة التي وَقَعت ،
- **و الإستعانة:** هي طَلَبُ العونُ على الخير ،

إذًا الإستغاثة و الإستعاذة مُتعلِّقَتان بدَفْعِ الشرِّ أو رفعِهِ ، و أمَّا الإستعانة فهي طلب الخير سواء كان الخيرُ من خير الدنيا أو كان من خير الآخرة.

و أمَّا الفرق بين هذه الثلاثُ و الدُعاء:

فهو أنَّ الدعاء أَعَمُّ منها،

- ✓ فإنَّ الإستعاذة دعاء مخصوص.
- ✓ و الإستغاثة دعاء مخصوص.
- ✓ و الإستعانة دعاء مخصوص .
- ✓ أمّا الدعاء فهو عام في طلب ما تحتاجُهُ و تبتغيه مُطلقًا سواءًا كان في تحقيق خيرٍ أو دفه شرّ، و قد تقدَّم الكلام عن الدُعاء.

ووقفنا عند هذا و لم نقرأ ما يتعلّقُ بما أوردَه الشيخ من الأدلّة.

## المتن:

۞ وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿وَلا تَدعُ مِن دُونِ الله مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1][2].

## الشرح:

نعم هذه الآية العظيمة ، بدأها الله -عزّوجل- بقولِه قبلها: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفًا و لاَ تَكونَّن مِنَ الْمُشرِكين﴾، فأمر الله -عزّوجل- نبيَّهُ أن يُقيم وجهه للدِّين **حنيفاً**: أي مائلاً عن الشِّرك إلى التوحيد ، و لا تكُونَّن من الْمشرِكِين.

ثُمَ قال الله:﴿ولا تدعوا من دون الله﴾ ،

تَقَدَّمَ معنا -يا إخوة- أنَّ معنى **من دُونِ الله** :

- إمّا أن تدعُوَ غير الله -سبحانه و تعالى- إستقلالاً .
- و إمَّا أن تدْعو غير الله مع الله كلا الصورتين تدخلان في هذا .

**ولا تدعوا من دون الله مالا يَنْفَعُكَ و لاَ يَضُرُّك**: و هذه الصفة -أيُّها الإخوة- ملازمة لكُلِ مخلوق، فكُلُّ مخلوق لا يستطيع أنْ ينفعَكَ إستقلالاً إلاَّ بإذن الله و أمره و كل مخلوقٍ لا يستطيع أن يَضُرُك إستقلالاً إلاّ بإذن الله ، بل إنَّ المخلوقات كُلَّها كبيرها و صغيرها شريفها ووَضيعَهَا لو إجتمعت على أنْ ينفعوك بشيء لم يكتُبْهُ الله لَك فإنّهم لا يستطيعون نَفْعَكَ، و لو إجتمعت و تظاهرت و تَناصَرت على أنْ يضُّروك بشيء لم يكتُبه الله لك لم يستطيعوا ان يضُّروك ،

إذًا معنى الآية : و لاَ تَدْعُوا من دون الله مَخْلُوقًا ، لأنَّ هذه الصفة المذكورة في الآية صفة المخلوقين، و مفهوم المخالفة أُدعُوا الله –عزّوجل- لأنَّه هو الذي ينفَعُكَ وإن شاء مَسَّكَ بِضُرٍّ لحكمة عظيمة.

**فإنْ فَعَلْتَ فَإنَّكَ إذاً من الظالِمينَ** : يعني فإن دعوت من لا ينفَعُكَ و لا يَضُرُّكَ فإنّك إذًا من الظالمين أي المُشركين لأنّ الشِّرك أعظم الظلم ﴿انّ الشرك لظلمٌ عظيم﴾، و هذا الخِطاب للنبي ﷺ لتنْزَجرَ الأمَّة و تتعلَمَ الأمة.

**وَ إنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُو** :

**وَ إنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ** : ان أصابك ضرٌّ باذن الله –عزّوجل- و بتقدير الله – عزّوجل – فلن يكشِفَهُ أحد إلاَّ الله.

**فلا كَاشِفَ**: هذه نَكِرة تَعُّم إلاَّ هو سُبحانه و تعالى .

و هذا يَدُلُ على أنّه لا يُدعى إلاَّ الله و لا يُستغاثُ إلاَّ بالله،

أمَّا أوَلُ الآية **و لاَ تَدْعُ من دُون الله مالا ينفَعُكَ و لاَ يَضُرُّكَ** : يدل على أنه لا يُدعَ إلاّ الله ،

و قول الله –عزّوجل- : **وَ إنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُو** : هنا تأتي الإستغاثة لأن الإستغاثة طلب كشْف الضُّر، تفريج الكُربة، و معنى هذا أنَّك لا تستغيث إلاَّ بالله – عزّوجل –

**و إنْ يُرِدْكَ بْخيرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ** : لا يملك أحد أن يَرُد فضل الله عنك،

**يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الغفورُ الرَّحِيم** : فهذه الآية العظيمة مَنَعت من الإستغاثة بغير الله، و منعَت من الإستعانة بغير الله، و مَنَعَت من الإستغاثة بغير الله، و منَعَت من دُعاء غير الله، أين هذا المنع ؟

هذا المنع كُلُّهُ في قول الله – عزّوجل – : ﴿ولاَ تَدْعُ من دُون الله مالا ينفَعُكَ و لاَ يَضُرُّكَ﴾ ،لأنّ الإستعانة دعاء و الإستغاثة دعاء و الإستعاذة دعاء ، أيضًا مُنعَت الإستعاذة في قول الله : ﴿وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُو﴾ ،وهذه هي الإستغاثة .

## المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَابتَغُوا[٣] عِندَ الله الرِّزقَ وَاعبُدُوهُ [وَاشكُرُوا لَهُ إِلَيهِ تُرجَعُونَ۞][٤]﴾[٥].

## الشرح:

نعم، الله –عزّوجل– قال :

**إنَّ الَّذينَ تَعْبُدونَ مِن دُونِ اللهِ** : وهذا يشمل جميع المعبودات من دون الله.

**لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا** : هل الرزق الطعام و الشراب فقط؟ لا ،

الرِّزق يشمَل الوَلَد و العافية و يشمل الطعام و يشمل الشراب فكُّل المعبودات من دون الله لا يملكون رِزقًا لعابديها، كُّل مخلوق لا يملِك أن و إنَّما الرَّزاق هو الله – سبحانه و تعالى – و لذا قال الله : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِزْقَ﴾

**فابتغوا** : أمر ، -طيّب- الأصل فابتغوا الرزق عند الله، لكن قال الله -عزّوجل- : **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِزْقَ**: فقدَّم ما حَقَّهُ التأخير للدلالة على الإختصاص، أي لا تبتغوا الرِّزق إلاّ من عند الله، و لا تطلبوه من غير الله أبَدَا، و هذا يَدُلُ -ياأخوة- على أنّ الدعاء بجميع أنواعه و صُوَره لا يكون إلاَّ من الله.

ثم قال الله تعالى :

**وَاعْبُدُوهُ** : وهذا من باب عطف العام على الخاص، لأنَّ إبتغاء الرِزق من عند الله عبادة، نوع من أنواع العبادة. **وَاعْبُدُوهُ** أي مخلصين له الدِّين و هذا من باب عطف العام على الخاص.

## المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لا يَستَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ وَهُم عَن دُعَائِهِم غَافِلُونَ﴾ (٦).

## الشرح:

و قولهُ:

**وَمَنْ أَضَلُّ** : أي لا أضلَّ، و هذا يدل على أنَّ دعاء غير الله **شِرك أكبر** ، لأنَّه الذي لا أضلَّ منه هو المُشرك ،

**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا من دون الله**: كما قلنا يدعوه إستقلالاً، و إمَّا أن يدعُوَهُ مع الله.

**مَنْ لاَّ يسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القْيَامَةِ** : و هذا وصفٌ لكلِّ مخلوق سواء كان صنما أو كان رجُلاً أو ملكًا، نعم بعض أهل العلم حملوا هذه الآية على الأصنام، لكنّ الصحيح أنّها تشمل جميع المعبودات من دون الله، ما الدليل ؟

قال الله – عزّوجل – : ﴿وَمَنْ أضَلُّ مِنْ دونِ الله من لا يَسْتَجِيب﴾ ،

**ومنْ**: الأصل فيها يقول علماء اللُّغة للعاقل و يدخُل فيها غير العاقِل تَبَعًا، و الأدَقُّ أن يُقال، انّ **من** لمن يعلمْ، أدَّق من أن نقول إنّها لمن **يعقِل**، فهي لمن يعلم و هذه درجة أُخرى، و لاَشَكَ أنّ الأصل في هذا أنّهم الملائكة و الأنبياء و الأولياء الذين يُعبدون وهم لا يرضون بعبادَتِهم، فهم لا يستجيبون لمن يُشرِك بالله يقينًا، الَّذي يدعوا الملائكة من دون الله، لو كانت الملائكة قادِرون على أنْ تُعطيَهُ ما أراد هل تفعل ؟ لا و الله ، لأنّه يشرك بالله ،

**فالآية عامّة على الراجِح من أقوال اهل العلم.**

**وهُمْ عَنْ دُعَائِهم غَافِلونَ وَ إِذَا حُشِرَ النّاس كانُوا لَهُم أعداءً وَ كَانُوا بِعبادَتِهم كافرين** : فإنَّهم يوم القيامة يتبرَّؤون منهم و من شِركِهم.

## المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشِفُ السُّوءَ وَيَجعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرض﴾ الآية[٧].

## الشرح:

هذه الآية فيها دلالة على أنَّ الذي يُجيب المضْطر هو الله – سبحانه و تعالى – و أنَّه هو الذي يكشِف السوء، و هذه الآية دليل على أنَّ الإستغاثة إنّما تقول لله – سبحانه وتعالى- لأنَّه هو الذي يُجيب المضطر،

فإن قال قائل : لَمَ خَصَّ الله المُضطَّر هنا مع أنّه يُجيب دعوة الدّاعي اذا دعا سواء كان مُضطَّرًا أو ليس مُضْطَّرًا، ﴿وَإِذَا سأَلَكَ عِبَادي عَنِي فَإِنِي قريبٌ أُجيبُ دَعْوَةِ الدَّاع إذا دعان﴾ ؟

و الجواب : أنّ المضطَّر يكون أكثر إلحاحًا في الدُعاء، و أكثر صدقًا في الدعاء و لإقامة الحُجة على المشركين، كيف؟ - يا إخوة – و الإضطرار إذا رَكِبوا في الفلك ما ذا يفعلون ؟ يدعون الله مخلِصين له الدِّين، لأنّهم يعلمون أنّ الذي يجيب المضطَّر هو الله ، فأقام الله عليهم الحُجّة بهذه الآية العظيمة، و هذه الآية كما قلنا أوردها الشيخ ليُبيِّن أنّه لا يُستغاث إلاّ بالله –سبحانه وتعالى –

## المتن:

٣١- وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ [بِإِسنَادِهِ][٨] : أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي المُؤمِنِينَ، فَقَالَ بَعضُهُم: قُومُوا بِنَا نَستَغِيثُ بِرَسُولِ الله ﷺ مِن هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لاَ يُستَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِالله عَزَّ وَجَلَّ»[١].

## الشرح:

نعم ، قال : وروى الطبراني، أي في الكبير كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، و أنا لم أجده في ما طُبِعَ في الكبير للطبراني، لكن قال في مجمع الزوائد إنّه رواه الطبراني في الكبير، قال و رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث وهذا الصحيح في ابن لَهيعة انّه حسن الحديث ما لم يُعَنعِن.

فالحديث حسن على ماحكاه الهيثمي،

قال : وروى الطبراني بإسناده، أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق ، و المنافقون –يا إخوة– هم الذين أظهروا الإسلام و أبطنوا الكفر، وكانوا موجودين في زمن النبي ﷺ ، فكان أحَدُهم يشتَّدُ أذاه للمؤمنين ، فقال بعضهم قوموا بنا : قال بعضهم أي قال **"أبو بكر الصدِّيق** ﷺ" هكذا جاء في الرِّوايات، وقال شيخنا الشيخ ابن الباز –رحمه الله– قيل أنّه **"عُبادَة"** الرَّاوي، لكن في الرِّوايات أنّه **"أبو بكر الصديق** ﷺ" قال :

**قوما بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق**: أي من أذاه ،

**فقال النبي ﷺ إنّه لا يُستغاث بي:** طيِّب –يا إخوة- ، النبي ﷺ هنا حيٌّ أو ميِّت ؟ هو حيٌّ، وهم استغاثوا بالحيّ القادر فيما يقدر عليه المخلوق عادة، و قد قدَّمنا أنَّ هذه الإستغاثة مباحة، إذًا لماذا قال النبيﷺ ( **إنَّه لا يُستغَاث بي**) ؟

- **قال بعض أهل العلم :**

إنّما أرادوا من النبي ﷺ قتْلَهُ، يعني أرادوا أن يقتله النبي ﷺ و النبي لا يجوز له أن يقتُلَه، إذًا لا يقدِر، لذلك قال : (**إنَّه لا يُستغَاث بي**) أي في قتلهم لأنّ الله لم يأذن لي في قتلِهِ ،

**و إنّما يستغاث بالله:** لأن الله قادِر على أن يهلِكَه هذا وجه ، هم إستغاثوا بالنبي ﷺ فيما لا يقدِر عليه بحُكم أنّه ممنوع شرْعًا، و إن كان يستطيع أن يقتُلَهُ بحكم يعني أنّه الوالي و أنّه يعني قادِر على ذلك ﷺ ، لكن أخبرهم أنّ الله لم يأذن له، **هذا معنى لا يُستغاثُ بي**، وهذا يدل على أنَّ **'المخلوق لا يُستغاثُ به فيما لا يقدِر عليه'**.

- **وقال بعض أهل العلم :**

بل كان هذا من تأديب النبي ﷺ و سَدِّه للذرائع، مثل ما قال الرجل : ما شاء الله و شئت، كما سيأتينا إن شاء الله، قال : ﴿أجَعَلْتني للهِ نِّدًا قل ما شاء الله وحدَهُ ﴾، في هذا المقام و إلاّ لو قال ما شاء الله ثم شئت صحَّ ، لكن هذا من باب التأديب و سَّد الذرائع، فقالوا : إنّ هذا من باب التأديب لَهُ و سَّد الذرائع و حمِلهم على أجمل المحامِل و أحَسنِها و هو **الإستغاثة بالله** ،

وهذا يدلُّ -ياإخوة- على فائدة عظيمة وهو أنّ الاستغاثة بالمخلوق وان كانت جائزة الاّ أنّ الاستغاثة بالله أعظم وأوقَع،

﴿انّه لا يُستغاثُ بي وانّما يُستغاثُ بالله﴾، ووجه الدلالة في قول النبي ﷺ وانّما يُستغاثُ بالله، فدلّ ذلك على أنّ الاستغاثة انّما تكون بالله سبحانه وتعالى.

وهذا الباب -ياإخوة- وقع فيه الضلال فيمن ينتسبون الى أمة محمد ﷺ أعظم ممّا وقع من المشركين، في زمن النبي ﷺ وقبله، فانّ المشركين في زمن النبي ﷺ اذا مسّهم الضرُّ وهم في البحر أخلصوا لله وضلّ من يدعون من دون الله، فاذا نجّاهم الى البحر اذا هم يُشركون، اذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدّين، فلمّا نجّاهم الى البرّ اذا هم يُشركون، فهم كانوا اذا استغاثوا في الشدّة يستغيثون بالله، أمّا بعض من ينتسبون الى الاسلام، فاذا وقعوا في الشدائد استغاثوا بغير الله فهم، يستغيثون بغير الله في الشدّة والرخاء، يدعون غير الله في الشدّة والرخاء، أمّا المشركون الأوائل كانوا يستغيثون بالله في الشدائد، و يدعون الله في الشدائد، فاذا سَلِمُوا أشركوا بالله عزّوجل في دعائهم، وهذا يجعلنا أيُّها الاخوة نحرصُ حرصًا شديدًا على أن نُعلِّم اخواننا،

-ياإخوة- أنا أجزم أنّ أكثر الذين يقعون في هذه الصُوَر الشركيّة يقعون فيها وهم لا يعلمون، لا يعلمون أنّها عبادة، أو لأنّهم مُغرَّرٌ بهم، يأتي أُناس يتظاهرون بالعلم ويقولون لهم هذه الأمور جائزة بل هي المطلوبة، ولو أنّ الناس علموا لاستقامت حال كثير من الناس، ولذلك -ياإخوة- لا يجوز أن نتشاغل عن الدعوة الى التوحيد أو أن نتكاسل أو نثبِّط عن الدعاء الى التوحيد، بل نفرح الى هذه الدعوة

التفصيلية البيّنة للتوحيد ونُشجِّعُها وندعوا لها وندعوا اليها وندعوا لأصحابها، بأن يُوفِّقهم الله ويُسدِّدهم. نعم

قال يرحمه الله تعالى فيه مسائل:

## المتن:

الأولى: أَنَّ عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

## الشرح:

-طيِّب- أين العطف ؟ بعض المشايخ والشُرّاح قالوا: في التبويب، لأنّ الشيخ قال: بابٌ من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعُوَ غيره، فقالوا هذا من باب عطف العام على الخاص، وبعض أهل العلم يعني يقولون انّ هذا العطف جاء في الآيات، ولكنّه من باب عطف الخاص على العام في قول الله عزّوجل: ﴿ ولا تدعوا من دون الله ﴾، ﴿ وان يمسسك الله بضُرٍّ﴾ هذا في الاستغاثة، فهو من باب عطف الخاص على العام، نعم.

## المتن:

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلا تَدعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾.

## الشرح:

كما تقدّم، وهذا –ياأخوة– يقطع جذور الشرك لأنّ الداعي امّا أن يُريد حصول خير، نفع، وامّا يُريد دفع الشرّ، فاذا علم أنّه ليس هناك مخلوق مهما علا شرفهُ ينفعه استقلالاً أو يدفع الضُرّ عنه استقلالاً فانّه لا يدعوا الاّ الله سبحانه وتعالى.

## المتن:

الثالثة: أَنَّ هذا هو الشرك الأكبر.

## الشرح:

نعم، لقول الله عزّوجل: ﴿ فان فعلت فانّك اذًا من الظالمين﴾ وهذا هو الشرك الأكبر.

## المتن:

الرابعة: أَنَّ أَصلَحَ النَّاسِ لَو يَفعَلُهُ إِرضَاءً[٢] لِغَيرِهِ صَارَ مِن الظَّالِمِينَ.

## الشرح:

لو أنّ أفضل مخلوق وهو النبي ﷺ فعل هذا فدعا غير الله لكان من المشركين وحاشاهُ أن يفعل ﷺ ، لكن لو وقع لكان كذلك، وذلك ليعلم الناس أنّه مهما كان صلاح الرجل اذا أشرك فهو مُشركٌ من الظالمين، لأنّ بعض الناس شيوخنا تجاوزوا القنطرة وأنا سمعت من شيخ مُعاصر من كبار الظُلاّل على وجه الأرض يقول هل يجوز لي أن أسبَّ أحدًا ؟ يقول نعم، لأنٌ رُفِعَ عنّي الأقلام، هذا يكتب وهذا لا يكتب، يعني الملك الذي على اليمين يكتب الحسنات وهذا لا يكتب، موجود حيّ من كبار ظُلاّل الأرض، يقول هذا الكلام ويصدِّقه الملايين للأسف ينتسبون الى الاسلام ويقولون شيخنا تجاوز القنطرة، الاّ كما قال ابن القيّم رحمه الله: " امّا أن يكون عاقلا فيكون مُكلَّفًا وامّا أن يكون مجنونًا فيكون قد سقط عن الرتبة" ﴿ واعبد ربَّك حتى يأتيَك اليقين﴾، امّا أن يكون عاقلاً فيكون مُكلَّفًا وامّا أن يكون مجنونًا فهذا سقط عن رتبة الانسان المُكلَّف الذي كُرِّم بالعقل، فمقصود الشيخ أنّ هذا الخطاب للنبي ﷺ وهو أصلح الخلق وأشرفهم وأعلاهم مترلة ﷺ فكيف بمن هو دونه ؟

المتن:

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

الشرح:

﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾.

المتن:

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

الشرح:

نعم لما تقدّم في الآيات.

المتن:

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الشرح:

نعم.

المتن:

الثامنة: أَنَّ طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أَنَّ الجنة لا تطلب إلا منه.

الشرح:

نعم.

المتن:

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

الشرح:

﴿ومن أضلُّ ممّن يدعوا﴾.

المتن:

العاشرة: ذِكرُهُ أَنَّهُ[1] لا أضلَّ ممن دعا غير الله.

الشرح:

نعم.

## المتن:

الحادية عشرة: أَنَّهُ غافل عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

## الشرح:

يعني أنّ المَدعوا غافلٌ عن دعاء الداعي.

## المتن:

الثانية عشرة: أَنَّ تلك الدعوة سَبَبٌ لبغض المَدعُوِّ للدَّاعِيَ وعداوته له.

## الشرح:

نعم.

## المتن:

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة: عبادة للمدعوِّ.

## الشرح:

نعم، لقول الله عزّوجل: ﴿ واذا حُشِرَ الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا لعبادتهم كافرين﴾، فسمّاها عبادة.

## المتن:

الرابعة عشرة: كفر المدعوِّ بتلك العبادة.

## الشرح:

نعم.

المتن:

الخامسة عشرة: أَنَّ هَذِهِ الأمور[٢] سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.

الشرح:

نعم.

المتن:

السادسة عشرة: [تفسير][٣] الآية الخامسة.

الشرح:

نعم.

## المتن:

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو: إقرار عَبَدَةِ الأوثان: أَنَّهُ لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

## الشرح:

نعم.

## المتن:

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حِمَى التَّوحِيدِ، والتأدب مع الله.

## الشرح:

نعم.

## (١٥) باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشرِكُونَ مَا لا يَخلُقُ شَيئًا وَهُم يُخلَقُونَ ۝ وَلا يَستَطِيعُونَ لَهُم نَصرًا وَلا أَنفُسَهُم يَنصُرُونَ﴾[1].

نعم، الشيخ رحمه الله عقد هذا الباب بفقه عجيب، لأنّه لمّا بيّن الشيخ بالأدلّة أنّ ما تقدّم في الأبواب السابقة شرك وهي كلُّها في طلب تحصيل الخير أو دفع الشرّ، ناسب أن يعقد هذا الباب هنا لبيان أمرين:

**- الأمر الأوّل:**

أنّ هذا الشرك الذي يقع فيه جماعات ممّن ينتسبون للإسلام هو من جنس المشركين الأوّلين الذين قاتلهم النبي ﷺ عليه، فهو يُناقض الاسلام، فمن المُناقضة أن يقول العبد أشهد أن لا اله الاّ الله وأنّ محمدً رسول الله وينذُرَ لغير الله، ويَدعُوَ غير الله ويستغيثَ بغير الله ويستعيذَ بغير الله، هذا من جنس ما كان يفعله المشركون الأوّلون، فانّ المشركين الأوّلين ما كانوا يشركون الاّ بقصد جلب النّفع أو دفع الضُّر، وهذا الذي يقع من جماعات ممّن ينتسبون الإسلام

**- الأمر الثاني:**

أنّ هذا الشرك مع كونه أعظم الظلم وأكبر الذنوب وسببًا للحرمان من الجنّة والخلود في جهنّم، فانّه لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا يُحقِّقُ له مقصوده، ولذلك قال الشيخ:

باب قول الله تعالى:﴿أيُشركون ما لا يخلقُ شيئًا وهم لا يُخلقون ولا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفُسهم ينصُرون﴾، فكلٌّ من كان من دون الله سبحانه وتعالى مهما علا مكانه وعظُمَ فظله لا يتَّصفُ بما يستحقُّ أن يكون به معبودًا، ولا يملكُ لنفسه ولا لغير من دون الله جلب نفع مهما صَغُر ولا دفع شرٍّ أبدًا، فالله عزّوجل أنكر في هذه الآيات على المشركين شركهم بالله سبحانه وتعالى مع أنّ العقول قاطعة ببُطلان ذلك، كيف ؟ لأنّهم يُشركون ما لا يخلُقُ شيئًا، ولا مثقال ذرّة ولا ذُبابة، الى اليوم والى قيام الساعة، لا يملك أحد أن يخلُق شيئًا، وكلٌّ عاقل يُدرك ذلك ويُقرُّ به أنّ الخالق هو الله وأنّ من كان دون الله لا يملك أن يخلُق ولا ذبابة، بل مع ذلك على عجزهم على الخلق هم يُخلقون، فهم مخلوقون مَربُوبُونَ مُحتاجُون الى الله سبحانه وتعالى،

والذي يستحقُّ العبادة هو الذي يخلق، لا المخلوق، ولذا نجد أنّ الله سبحانه وتعالى يُقرِّرُ توحيدَه بأنّه الخالق سبحانه وتعالى، كما في قوله: ﴿ يا أيُّها الناس اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلَّكم تتَّقون﴾ فالذي يستحقُّ العبادة هو الخالق أمّا المخلوق فهو عاجز ضعيف مُحتاج لا يستحقُّ أن يُعبد،

كما أنّهم يشركون بالله ما لا يملكُ لهم نفعًا ولا دفعًا لضُرّ، بل ولا يملك ذلك لنفسه، فلا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعًا فضلاً عن غيره ولا أن يدفع عن نفسه ضُرًّا فهم لا يستطيعون نصر غيرهم ولا ينصُرُون أنفسهم، ومن كان هذا شأنه لا يستحقُّ أن يُعبد،

فدلّت هذه الآيات أن المُستحقَّ للعبادة هو الله وأنّ عبادة غير الله أعظم الظلم، وأنّ من دون الله لا يستحقُّ أن يُصرَف له شيء من أنواع العبادة.

اذًا دلّتنا الآية أنّ الذي يُعبد الخالق لا المخلوق والناصر لا المنصور والخالق هو الله والناصر هو الله وكلّ المخلوقات مخلوقةٌ مربوبةٌ مُحتاجة ضعيفة مَنصورة لا تملك لنفسها ولا لغيرها نصرًا.

كأنّ الشيخ هنا يقول لمن تقدّموا: يا من تنذُرون لغير الله، يا من تستغيثون بغير الله، يا من تعُوذون بغير الله، يا من تبرَّكون بالشجر والحجر ونحو لماذا تفعلون ذلك ؟ هل لأنّ هذا المخلوقات عظيمة قادرة ؟

ان قلتم نعم، **قلنا لكم**: ﴿أتُشركون ما لا يخلقُ شيئًا وهم يُخلَقُون﴾.

أم أنّكم تُشركونها بها الله وتعبدونها من دون الله لأنّها تنفع وتضرُّ ؟

**قلنا لكم**: ﴿ ولا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون﴾.

هذا وجه هذا التبويب العظيم لهذا الباب بعد الأبواب المُتقدِّمة.

## المتن:

۞ وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَملِكُونَ مِن قِطمِيرٍ ۝ إِن تَدعُوهُم لا يَسمَعُوا دُعَاءَكُم وَلَو سَمِعُوا مَا استَجَابُوا لَكُم وَيَومَ القِيَامَةِ يَكفُرُونَ بِشِركِكُم وَلا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبِيرٍ۞﴾[٢].

## الشرح:

وقوله:

- **والذّين تدعون من دونه:** هذا يشمل جميع من يُدعى من دون الله عزّوجل،
- **ما يملكون من قطمير:** أي لا يملكون شيئًا، والقطمير -ياأخوة- هو القشرة التي تكون على نواة التمر، ليست التمرة مع قلّتها وليس النواة مع قلّة نفعها وانّما القشرة الرقيقة البيضاء التي تكون على النواة، هذه القشرة الرقيقة التي تكون على النواة لا يملكونها، ولا يملكون شيئًا منها، لأنّ الله عزّوجل قال: ﴿لا يملكون﴾ وهذا سياق النفي،

**من:** وهذا يقتضي العموم، يُؤكِّد العموم، فلا يملكون شيئًا من القطمير ولا جُزءًا منه.

اذا مادام لم يملكون كيف يُعطون ؟ لا يُعطي الاّ مالك والذي يدعوا انّما يُريدُ أن يُعطى، دلّ هذا على أنّ الذي يُدعى هو الله وأنّ كلّ المخلوقات لا تملك أن تُعطيَ الدّاعي شيئًا.

## المتن:

**٣٢**- فِي[٣] «الصحيح»: عَن أَنسِ بنِ مَالِكٍ[٤]، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَومَ أُحُدٍ، وَكُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّهُم؟!». فَنَزَلَت: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ﴾[٥][٦].

## الشرح:

نعم، قال: وفي الصحيح، وهذه القصة مع الآية رواها البخاري تعليقًا ورواها مسلم مُسندَة،

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

- **شُجَّ النبيّ ﷺ يوم أُحُد**: أي جُرِحَ في رأسه، سبحان الله النبيّ ﷺ لّما أراد أن يخرج الى المدينة الى أحد لبس لامّتهُ (دِرعَهُ) ولبس بيضته فوق رأسه التي يُحمى به الرأس فهُشِّمت البيضة وجُرح رأسه الشريف ﷺ.
- **وكُسِرت رَباعيَّتُه** : يُقال رَباعيَّتُه ويُقال رُباعيَّتُهُ بتخفيف الياء، و الرباعيّة هي السنّ التي تلي الثنايا وقبل النّاب وهي أربعة ثِنتان فوق وثِنتان تحت، كُسر سنُّ النبيّ ﷺ و جُرح رأسه، فجعل يَسْلِتُ الدّم عنه أي يمسح الدّم عنه ﷺ ويقول:
- **كيف يُفلح قومٌ شَجُّوا نبيَّهم وكسروا رَباعيّته**: هكذا في الصحيح، وهو يدعوهم الى الله، هذا كلّه في الصحيح، النبي ﷺ أخذ يَسْلِتْ الدّم، يمسح الدّم عنه ويقول: كيف يُفلح قومٌ شَجُّوا نبيَّهم جرحوا رأسه وكسروا رَباعيّته و هو يدعوهم الى الله، لا ذنب لهم الاّ أنّه يدعوهم الى الله.
- **فنزلت**: ﴿ ليس لك من الأمر شيء﴾: ووجه الدّلالة من هذه الآية – يااخوة– أنّ النبي ﷺ وهو أفضل خلق الله، جُرح رأسه في الحرب وكُسرت سِنُّه و قُتل عمّه وقُتل نحو من سبعين من صحابته في معركة أُحُد فدلّ ذلك دلالة بيِّنة أنّه لا يعلم الغيب ولا يملك جلب النفع ولا دفع الضرّ لا عن نفسه ولا عن غيره، لم يستطيع النبي ﷺ أن يدفع الجَرح عن رأسه و لم يستطع أن يدفع القتل عن عمِّه، ولا يعلم الغيب ﷺ الاّ ما أطلعُه الله كالرؤيا الصادقة

التي رآها قبل أن يذهب، فالنبي كما أمره الله أن يقول لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا يعلم الغيب، واذا كان هذا في حال النبي ﷺ حتى قال الله له :﴿ ليس من الأمر شيء ﴾، فليس لك من أمر عبادي شيء وانّما أمر عبادي لي، الذي لك أن تُرشدهم وتُبيِّن لهم و تُنذرهم أمّا أمر عبادي فهو إليّ، ليس لك من الأمر شيء،

اذا كان هذا في رسول الله ﷺ أفضل الخلق لا يعلم الغيب، ولا يملك لنفسه دفع الضرّ ولا جلب النفع ولا لأصحابه ولا لأحبابه وليس له من الأمر شيء، فكيف بمن دونه من الخلق ؟ لا شكّ أنّه من باب أولى، واذا لم يكن النبي ﷺ عالمًا للغيب ولا مالكًا لجلب النفع ولا لدفع الضرّ عن نفسه ولا عن غيره فانّه لا يستحقُّ أن يُعبَد من دون الله وهو أفضل خلق الله، فكيف بمن دونه من المخلوقات؟ كيف لمن يأتي لشيخ رُبَّما لا يُصلِّي و رُفع عنه القلم ويعبُدُه، يُقبِّل يده يسجد عليها، ويلتمس منه الذكر ويُبايُعُه ويُعاهدُه لا شكّ أنّ هذا أعظم الظلال، واذا علم المؤمن هذا الحال للنبيّ ﷺ فانّه سينفجر يقينًا من أن يَدعُوَ غير الله أو يستغيث بغير الله أو ينذُر لغير الله فانّه لا يملك النفع ولا الضرّ الاّ الله سبحانه وتعالى.

القاضي كما نقل عنه الامام النووي ذكر الحكمة ممّا أصاب النبيّ ﷺ وأصاب الأنبياء قبله فقال:

ليُعلَمَ أنّهم من البشر، تُصيبُهُم مِحَنُ الدنيا، و يَطْرَأُ على أجسمهم ما يَطْرَأُ على أجسام البشر ليَتيقَّنُوا أنّهم مخلوقون مَربُوبُون.

أي أنّهم عبادٌ لا يُعبدون ورُسُلٌ لا يُكذّبون، بعض الناس –يااخوة- يُسيء الأدب مع الله ويُسيء الأدب مع رسول الله ﷺ ويتّهم أهل التوحيد بأنّهم يُسيئون الأدب مع رسول الله ﷺ، بعض الناس يرى أنّ النبي ﷺ تُصرَف له العبادة من دون الله فهذا أساء الأدب مع الله لأنّه جعل ما لله لغير الله وأصاب الأدب مع رسول الله ﷺ لأنّه هجر كلّ أحاديث رسول الله ﷺ التي تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك، واتّهم أهل التوحيد بالكذب والزور والبهتان، أهل التوحيد يُحبُّون النبي ﷺ أكثر من الناس أجمعين فيقولون هو رسول الله، رسولٌ لا يُكذّب وعبدٌ لا يُعبد و لا يُعبدُ الله الاّ بما شرع، فهذا أيُّها الاخوة موقف المسلم الصحيح يعرفُ حقّ الله ويعرف حقّ رسول الله ﷺ .